إنه أحد مشايخ الإسلام صاحب التصانيف التي ما فتح على غيره بمثلها في هذه الأوقات. وقال البرهان الحلبي: كان فريد وقته في كثرة التصنيف وعبارته فيها جلية جيدة وغرائبه كثيرة. وقال ابن حَجَر في أنبائه: أنه كان موسعاً عليه في الدنيا مشهوراً بكثرة التصانيف حتى كان يقال: إنها بلغت ثلاثمائة مجلد ما بين كبير وصغير. وعنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس، ثم إنها احترقت مع أكثر مُسوَّداته في آخر عمره، ففقد أكثرها، وتغير حاله بعدها، فحجبه ولده إلى أن مات. قال راوياً عن بعض من حكى له أنه دخل على صاحب الترجمة يوماً وهو يكتب فدفع إليه الكتاب الذي يكتب منه وقال له: أملي عليَّ قال: فأمليت عليه وهو يكتب إلى أن فرغ، فقلت له: يا سيدي أتنسخ هذا الكتاب؟ فقال: بل أختصره. قال ابن حَجَر: إنّ العراقي والبلقيني وصاحب الترجمة كانوا أعجوبة ذلك العصر، الأول في معرفة الحديث وفنونه. والثاني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي. والثالث في كثرة التصانيف. وكل واحدٍ من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنةٍ، ومات قبله بسنةٍ، فأولهم ابن المُلقّن، ثم البلقيني، ثم العراقي. ومات في ليلة الجمعة سادس عشر ربيع الأول سنة ٨٠٤ أربعٍ وثمانمائة.

(٣٤٨)
(عُمَرُ بن مُحمَّد بن عُمَر)

ابن أحمد بن هِبَة اللَّه بن أحمد بن أبي جَرَادة العُقيلي الحَنفيّ الحلبيّ نجم الدين بن جمال الدين بن صَاحِب، كمال الدين العَديم. ولد سنة ٦٨٩ تسع وثمانين وستمائة. سمع الحديث وتفقّه وولي عدة تداريس، ثم ولي القضاء. وكان حافظاً للسانه لم يسمع منه سبّ أحدٍ، وله نظم جيد فمنه: [من الرجز]

كأنَّ وَجْهَ النَّهر إذْ حَفَّتْ بهِ ... أشجارُهُ فَصافَحتْهُ الأغْصُنُ[1]
مِرآةُ غيدٍ قَدْ وَقَفْنَ حَوْلَها ... يَنْظُرْنَ فِيها أَيّهنَّ أَحْسَنُ[2]

وهذا غاية في بابه. وقد كنت نظمت قبل الوقوف عليه بأعوام بيتين في المعنى هما: [من السريع]

كأنما الأغصانُ إذْ أحدقتْ ... بالنَّهرِ من بَعْدِ بُكاءِ الغَمامْ[3]

(١) حَفَّتْ به: أحاطت. صافحته: سَلَّمتْ عليه يداً بيدٍ.
(٢) الغيد: جمع الغيداء: الفتاةُ الحسناءُ الناعمةُ المُتثنِّية في مشيتها.
(٣) أحدقت بالنهر: أحاطت به من كلّ جانب.

غِـيـدٌ عـلـى مـرآةِ حُـسْـنٍ تَـنـا فَـسْـنَ فَـأَذْرَيْـنَ دُمـوعَ الـخِـصَـامْ[1]

فلما وقفت على بيتي صاحب الترجمة هَممْتُ بأن أضرب على هذين، لكنّي رأيتهما قد اشتملا على ما لم يشتمل عليه بيتا المترجم له وذلك زيادة بكاء الغمام في المشبه، ومقابلتهما ببكاء الغواني في المشبه به، مع ذكر التنافس والخصام. ورأيت بعد نظم البيتين أن ما يقرب من معناهما في طيب السمر لِلحَيْمي، ولا أحفظه حال تحرير هذه الأحرف، ولا أحفظ قائله ولكنه لم يشتمل على ما اشتمل عليه البيتان المذكوران. ومات صاحب الترجمة في صفر سنة ٧٣٤ أربعٍ وثلاثين وسبعمائة، ورثاه ابن الوَرْدي بقوله: [من الكامل]

قَدْ كان نجمُ الدين شَمْساً أشْرَقتْ بِحَماةَ لِلدَّاني بها والقَاصي
عَدِمَتْ ضِيَاء بن العَديمِ فَانْشدَتْ مَاتَ المطيعُ فيا هَلاكَ العَاصي

وما أحسن من التورية في قوله في هلاك العاصي، لأن بحماة نهراً يُقال له العاصي.

(٣٤٩)

(عُمَرُ بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن أبي الخَيْر مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبد اللَّه بن فَهْد)[2]

النجم القُرشيّ الهاشميّ المكّيّ الشّافعيّ المعروف كسلفه بابن فَهْد. ولد ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ اثنتي عشرة وثمانمائة، ونشأ بها، فحفظ القرآن وكتاباً في الحديث أَلَّفه له والده. وشرع في قراءة فقه الإمام أحمد فحوَّله أبوه شافعياً، وحفظ النصف الأول من المنهاج وبعض الألفية لابن مالك، وبعض ألفية العراقي. وسمع في صغره بمكة على مشايخها والقادمين إليها كالمراغي، والجمال بن ظهيرة، والولي العراقي، وابن الجزري، والنجم بن حجي، والكازروني. وأجاز له جماعة من جهات شتّى، وأقبل على الطلب بنفسه، وتخرَّج بوالده، ورحل إلى القاهرة فسمع من أهلها، ولازم الحافظ ابن حَجَر، ودخل الشام فسمع على علمائها، ولازم الحافظ ابن ناصر، وسافر إلى القدس والخليل، وسمع ممّن هنالك، وطاف البلدان، وطوَّل الرحلة، وتردَّد في جميع مدائن مصر والشام وغيرهما، وكتب الكثير بخطّه، وسمع

(١) أَذْرَيْنَ: أَسَلْنَ.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ٦٢؛ الضوء اللامع: ٦/ ١٢٦؛ كشف الظنون: ٧؛ إيضاح المكنون: ١/ ٢١، ١٧٤، ٢/ ١١، ٤٨٥؛ هدية العارفين: ١/ ٧٩٤؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٣١٨.